

الرؤى والأحلام في الفكر الإسلامي

د. كريم نجم خضر (*)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾

(يوسف : ٤)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
(لم يبق من النبوة إلا المبشرات) .

قالوا : وما المبشرات ؟

قال : ((الرؤيا الصالحة))

أخرجه البخاري في صحيحه

ملخص البحث

ان البحث الموسوم ((الرؤى والاحلام في الفكر الاسلامي)) يتطرق لموضوع بالغ الاهمية ، وقد عرض القرآن الكريم في آيات عدة لهذا الموضوع ، وروي عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) في هذا الصدد أحاديث عديدة ازاحت الستار عن كثير من خفايا الاحلام... وأولى المسلمون عناية بالغة بالرؤى وبتفسيرها ومنهجنا في هذا البحث تحليل الآيات القرآنية التي تمس الموضوع، وذكر الآراء المتعلقة بالاحلام والرؤى لعلماء المسلمين . مع بيان حكم الرؤيا والعمل بها. وقد قسم البحث على تمهيد ومباحث عدة . تناولت تعريف الحلم والرؤيا وبيان حقيقة الرؤيا في القرآن الكريم والسنة النبوية ، ثم بينا آراء

(*) مدرس. كلية التربية - جامعة كركوك.

فلاسفة الاسلام في الاحلام والرؤى. ورأى الفقهاء في حكمهما وختمنا البحث بالكلام عن رؤية النبي (صلى الله عليه وسلم) في المنام.

ABSTRACT

The current paper entitled 'Visions and Dreams in the Islamic Thought' tackles a highly significant point. The Holy Quran cites many verses tackling this subject. Many are reported from our prophet (P.b.u.h.) in many prophetic traditions uncovering many mysteries surrounding dreams and visions. The early Muslims have also paid a great attention to visions and their interpretations. Our main concern in this paper is also analyze the Quranic verses discussing this subject, and mention the different views of Muslim jurists concerning visions and dreams. The paper is divided into an introduction and many sections. It includes a definition of 'vision and dream', showing the reality of vision in the Holy Quran and prophetic tradition. Viewpoints of Muslim philosophers about both dreams and visions are also illustrated along with jurists' opinions about them. The paper concludes with our prophet's own vision, and the main conclusions of the paper.

المقدمة

الحمد لله بجميع المحامد على جميع النعم ، والصلاة والسلام على محمد المبعوث إلى خير الأمم، وعلى آله وأصحابه مفاتيح الحكم ومصابيح الظلام وبعد : فإن موضوع الرؤى والأحلام موضوع بالغ الأهمية ، حيث تطرق القرآن الكريم في آيات عديدة إليه ، عرّضَ فيها لحقيقةٍ على درجة كبيرة من الأهمية تبصرنا بجانب من عالم الرؤيا ، الذي يكتنفه الغموض . كما روي عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) في هذا الصدد أحاديث عديدة ، أزاحت الستار عن كثير من خفايا الأحلام . لذلك فقد أولى المسلمون اهتماماً بالغاً بالأحلام وبتفسيرها ، فوضعوا قواعد وأصولاً ومقاييس لعلم الرؤيا وتعبيرها . وقد عُني الناس على مر العصور بالأحلام وتعبيرها .

أما السبب الذي دفعنا إلى الكتابة في هذا الموضوع فهو إننا رأينا الناس عامة - يخوضون في الأحلام وفي تفسير رموزها ، ولهم في ذلك آراء ما أنزل الله بها من سلطان ؛ آراء مختلفة ، ونظريات متضاربة ، حيث إنَّ بعض العوام - في مجتمعنا - يغالون في تقديس الأحلام، ويعتمدون عليها أيما اعتماد ، يصبغونها بصبغة مقدسة ، وكأنها وحي منزل من الله . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى رأيت أنَّ بعض (المثقفين) الذين يجرفون وراء التيارات الغربية قد تأثروا بنظريات فرويد في الأحلام، وأعتقدوا بأنها نظريات صائبة لاتحتمل الخطأ . ثم إنَّ الموضوع مثير بمادته ومحتواه ، ويمس جميع الناس .

أما منهجنا في هذا البحث فكان منهجاً تحليلياً للآيات القرآنية التي تمس الموضوع، ذكرنا تلك الآيات ثم درسناها دراسة تحليلية ، كما ذكرنا الآراء المتعلقة بالأحلام والرؤى لعلماء المسلمين . مع بيان حكم الرؤيا والعمل بها .

وقد قسم البحث بعد هذه المقدمة إلى تمهيد وستة مباحث :-

المبحث الأول : في تعريف الحلم والرؤيا وما يتعلق بهما. وفيه مطلبان الأول في التعريف اللغوي والاصطلاحي للرؤيا والحلم والمطلب الثاني يبحث في المعاني التي يحملها اصطلاح التوفي .

أما المبحث الثاني فقد خصص لبيان حقيقة الرؤيا في القرآن الكريم . وفي المبحث الثالث :- تكلمنا عن الرؤيا في السنة المطهرة

وجاء المبحث الرابع :- في بيان آراء فلاسفة المسلمين في الاحلام والرؤى .

أما المبحث الخامس :- فتكلمنا فيه عن الاحلام والرؤى في ميزان الفقهاء .

وفي المبحث السادس سلطنا الضوء على رؤية النبي (صلى الله عليه وسلم) في المنام.

ثم ختمنا البحث بخاتمة ، بيّنا فيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث . والله

الحمد أولاً وأخيراً.

التمهيد

لقد أولت الشريعة الإسلامية عناية كبيرة بالرؤى من خلال الإرشادات الواردة في آيات القرآن الكريم ، وما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحاديث وآثار ، ترفع بمنطوقها ومفهومها من شأن الرؤيا ، لكونها إفاضة رحمانية ، وبشارة إلهية ، لمن اصطفاه الله من عباده المخلصين .

ولم تفرد الشريعة الإسلامية في عنايتها بالرؤيا ، إذ إنَّ مانقل إلينا من العصور الغابرة يشير بوضوح إلى عناية ملحوظة بالمنامات امتدت مساحتها منذ بداية التاريخ إلى وقتنا هذا ، إلا أنَّ المنظور الذي عولجت الرؤيا لديهم من خلاله يتسم بالقصور والغموض ، في كثير من جوانبه .

فكما لازم النوم الإنسان كظاهرة بشرية فقد لازمته الأحلام والرؤى أيضاً . ولأنَّ الأحلام قديمة قدم الإنسان نفسه فقد عني بها الناس في كل عصر ووقت محاولين تفسيرها واقتباس مافيه من المعاني المخبوءة وحاولوا كذلك معرفة حقيقة رموزها ودلالاتها . فكانت لهم أحلام يستبشرون بها وأخرى يتشاءمون منها ويتطبرون .

وإنَّ هذه الحقيقة التي لازمت الإنسان قد أكدتها الأديان السماوية . فالقرآن الكريم حافل ببعض الرؤى والأحلام ذات القيمة التنبؤية التي تحققت بكامل صورها ، منها قوله تعالى ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً ﴾^(١) ، وقوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام : ﴿ يَا بَتِ يَا بَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾^(٢) ، والرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم قد أكد هذه الحقيقة بقوله (لم يبق من النبوة إلا المبشرات وهي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرى له)^(٣) .

فالشريعة الإسلامية قد أرست حدود عالم الرؤيا والمنابع التي ينشأ عنها ، فقد ورد في القرآن الكريم ، والسنة المطهرة ما يزيح الغموض والالتباس عن عالم الرؤيا . فما يراه النائم في منامه ينقسم على ثلاثة أقسام ، منام رحماني تكمن وراءه بشارة أو نذارة ، ومنام شيطاني يلبس به الشيطان على النائم فيقلب الأعراف ، ويداخل بين المفردات ، فيخلط به على النائم ، ويزيده حيرة وخوفاً . ومنام ينشأ عن حديث نفس ، أو تعلق لها بحديث في اليقظة ، فيراه النائم في منامه لشدة تعلقه به . وفي هذه التقسيمات دقة واضحة تقتقر إليها

نظرية فرويد وبافلوف ، فللمنام مراتب ، ولكل مرتبة مقام ينشأ عنه ، ولكل مقام تفسير يبرره ويمكن الاستعانة فيه بنصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية .
فالنصوص القرآنية ، والأحاديث الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والآثار ، قد هيأت مناخاً مناسباً لدراسة الرؤيا وتعبيير مفرداتها^(٤).

المبحث الأول

التعريف اللغوي والاصطلاحي للرؤيا والحلم وما يتعلق بهما

المطلب الأول : التعريف اللغوي والاصطلاحي للرؤيا والحلم

الرؤيا لغةً : ما رأيتُهُ في مَنَامِكَ ، يقالُ : رأيتُ رؤيا حَسَنَةً ، والجمعُ رُؤْيٌ^(٥).
وأما الرُّؤيا اصطلاحاً فقد قال الخازن في تفسيره^(٦) : (ثم إنَّ علم الرؤيا عبارة عن ارتسام صورة المرئي وانتقائها في مرآة القلب في النوم دون اليقظة ، فالرؤيا من باب العلم، ولكل علم معلوم ، ولكل معلوم حقيقة وتلك الحقيقة صورته والعلم عبارة عن وصول تلك الصورة إلى القلب وانطباعها فيه سواء كان في النوم أو في اليقظة فلا محل له غير القلب) .

والحُلْمُ - بضم الحاء المهملة وضم اللام وقد تسكن تخفيفاً - هو الرُّؤيا ، أو هو اسم للاحتلام وهو الجماع في النوم^(٧)، والحلم والرؤيا وإن كان كل منهما يحدث في النوم إلا أنَّ الرُّؤيا اسم للمحبوب فلذلك تضاف إلى الله تعالى ، والحلم اسم للمكروه فيضاف إلى الشيطان لقوله (صلى الله عليه وسلم) : ((... الرؤيا من الله ، والحلم من الشيطان))^(٨) وقد استعمل العرب الحلم استعمال الرُّؤيا ، أمَّا التفريق بينهما فهو من الاصطلاحات التي بيَّنها الرسول (صلى الله عليه وسلم) للتمييز بين ما كان من الله تعالى ، وما كان من الشيطان . قال ابن حجر رحمه الله^(٩) : (وظاهر قوله صلى الله عليه وسلم ((الرؤيا من الله والحلم من الشيطان)) أنَّ التي تضاف إلى الله لا يقال لها حلم ، والتي تضاف إلى الشيطان لا يقال لها رؤيا ، وهو تصرف شرعي ، وإلا فالكل يسمى رؤيا بالاصطلاح اللغوي والعرفي . وفي هذا الاصطلاح دلالات تربط هذا النوع من المنام بالبصيرة والبصر ، إذ أنَّ الرائي يرى في منامه الشيء كما يراه في عينه أو ببصيرته عند اليقظة^(١٠))

أما الأحلام فهي ما لاتأويل له ولاخير فيه من المنامات التي يراها النائم ، والتي تنشأ عن وسوسة الشيطان وتلاعبه بابن آدم عند نومه . وقد ورد في القرآن الكريم إشارة واضحة إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ... ﴾^(١١)، أي أخلاط رؤيا كاذبة لاحقيقة لها.^(١٢)

وعليه فإنّ الحلم يخالف الرؤيا باختلاط مفرداته وتنافرها مع مفردات الحياة اليومية ، فليس ثمت معنى لما يحدث فيه ، والفوضى تسوده ولاحكم للمنطق عليه . قال التوربشتي^(١٣) ((وقد جعل الحلم عبارة عما كان من الشيطان ، لأنّ أصل الكلمة ((حلم)) لم تستعمل إلاّ فيما يخيل للحالم في منامه ويقظته من قضاء الشهوة بما لاحقيقة له)) .

المطلب الثاني : المعاني التي يحملها إصطلاح ((التَّوْفَى))

لقد عرض القرآن الكريم لحقيقة على درجة كبيرة من الأهمية تبصرنا بجانب من عالم الرؤيا ، الذي يكتنفه الغموض ، حيث يقول الله تعالى في محكم كتابه العزيز : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمُسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾^(١٤) فالنفوس تتوفى في منامها ، وتخرج إلى عالم الرؤيا في عوالمه التي لا يحدّها زمان ولامكان .

ويحمل اصطلاح (التوفي) معاني عدة ، ووراء كل معنى من هذه المعاني ينتصب مذهب في تفسير حقيقة الرؤيا بمنظور الشريعة الإسلامية .^(١٥)

فالوجه الأول للتوفى ، هو قبض الأرواح عن الجسد ، ومفارقتها له ، وقد ورد في قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ ، وفي ﴿ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ... ﴾ ، وفي ﴿ يَتَوَفَّاهُمْ مَلَائِكَةُ الْمَوْتِ... ﴾^(١٦)

وقد عدّ أنصار هذا الوجه توفي الله عباده في منامهم بالليل هو التوفي الأصغر ، إذ أنّ الأرواح تُقبَضُ عند النوم ، فتفارق الجسد مفارقة مؤقتة إلى أجل مسمى عند الله تعالى ، أما الموت فهو التوفي الأكبر ؛ لأنّ الأرواح تفارق فيه أجسادها مفارقة دون إرسال لحين البعث .

وقال ابن قيم الجوزية^(١٧) : "أخبر سبحانه وتعالى بوفاتين ، وفاة كبرى وهي وفاة الموت ، ووفاة صغرى وهي وفاة النوم ، وقسم الأرواح قسمين : قسماً قضى عليها بالموت ، فأمسكها عنده وهي التي توفأها وفاة الموت ، وقسماً لها بقية أجل فردّها إلى جسدها لاستكمال أجلها"^(١٨) .

وللتوفيق بين مظاهر الحياة لدى النائم ، عند مفارقة روحه لجسده وانعدام أي مظهر من مظاهرها عند التوفّي الأكبر ، ظهرت عدة تأويلات لإزالة هذا التناقض . فذهب مقاتل^(١٩) إلى أنّ للإنسان حياة وروحاً ونفساً ، فإذا نام خرجت نفسه التي يعقل بها الأشياء ولم تفارق البدن ، بل تخرج ولها شعاع متصل به ، فيرى الرؤيا بتلك النفس، وتبقى الحياة من الجسد فيها يتقلب ويتنفس .

وقال عكرمة ومجاهد^(٢٠) : "إذا نام الإنسان فإنّ له سبباً تجري فيه الروح وأصله في الجسد فيبلغ حيث شاء الله فمادام ذاهباً فالإنسان نائم ، فإذا رجع إلى بدنه انتبه".

أمّا العزّ بن عبد السلام ، فقد ذهب إلى أنّ كل جسد فيه روحان (أحدهما) : روح اليقظة التي أجرى الله العادة أنّها إذا كانت في الجسد ، كان الإنسان متيقظاً وإذا خرجت منه نام ورأت تلك الروح المنامات . (والأخرى) : روح الحياة التي أجرى الله العادة أنّها إذا كانت في الجسد كان حياً ، فإذا فارقت مات ،^(٢١) ودليله على ذلك قوله تعالى ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ .. ﴾ : أي يُمَسِّكُ النفس التي قضى عليها الموت عنده ، ولا يرسلها إلى جسدها ويرسل النفس الأخرى ، وهي نفس اليقظة إلى أجسادها إلى إنقضاء أجل مسمى وهو أجل الموت ، فحينئذ يقبض روح الحياة وروح اليقظة جميعاً من الأجساد .

والوجه الثاني من وجوه (التوفّي) : هو الرفع إلى السماء ، كما في قوله تعالى ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ... ﴾ وقوله ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾^(٢٢) ضمن المفهوم الذي تبناه أصحاب المذهب الأول أيضاً . أمّا المذهب الثاني ، فقد اعتمد على الوجه الثالث للتوفّي ، والذي يرد بمعنى قبض الحس في النوم ، كما في قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ... ﴾ ، وقوله ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ... ﴾^(٢٣) وهو مذهب ابن عباس رضي الله عنه^(٢٤) وفي قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ... ﴾ استعارة تبعية، حيث استعير التوفّي من الموت للنوم لما بينهما من المشاركة في زوال

إحساس الحواس الظاهرة والتمييز^(٢٥) وبذلك فإنَّ توفِّي الأنفس في نومها هو إمساك على التصرف في الأجساد مع بقاء الروح متصلة بها^(٢٦) .

قال ابن جريح^(٢٧) : في الإنسان روح ونفس بينهما حاجز فهو تعالى يقبض النفس عند النوم ثم يردها إلى الجسد عند الانتباه ، فإذا أراد إماتة العبد في نومه لم يردد النفس وقبض الروح .

فتنشأ الرؤيا عند أصحاب المذهب الأول ، بعد مفارقة روح النائم لجسده ، ودخولها في عالم الرؤيا الفسيح ، فتلتقي الروح مع أرواح الأحياء والأموات ، من أقاربها وأصحابها وغيرهم ، فتتعارف وتتذكر ، أو تعرج الروح إلى السموات العلى فتترقى ماشاء ، فتدخل الجنان ، وتتنظر أرواح البعض إلى اللوح المحفوظ وقد يرتقي بعضها إلى عرش الرحمن ، فيفيض الله تعالى عليه مايشاء من الأنوار .^(٢٨)

وقد ورد عن الصحابة والتابعين - رضي الله عنهم - آثار مشهورة تعضد هذا القول، فمنها ما رواه الإمام سعيد بن المسيب قال : التقى عبد الله بن سلام وسلمان الفارسي ، فقال أحدهما للآخر : إنَّ مت قبلي فألقني ، فأخبرني مالقيت من ربك ، وإنَّ أنا مت قبلك لقيتك فأخبرتكَ . فقال الآخر : وهل تلتقي الأحياء والأموات ؟ قال : نعم أرواحهم في الجنة تذهب حيث تشاء . قال فمات فلان فلقية في المنام ، فقال : توكل وابشر ، فلم أرَ مثل التوكل قط^(٢٩)

قال ابن قيم الجوزية^(٣٠) : وشواهد هذه المسألة وأدلتها أكثر من أن يحصيها إلاَّ الله تعالى ، والحس والواقع من أعدل الشهود بها .

أمَّا أصحاب المذهب الثاني ، فلقد نقلت عنهم تأويلات عدة في تفسير ما يراه النائم في منامه (أولها) : إنَّ ما يراه النائم في نومه هي اعتقادات وإدراكات يخلقها الله تعالى بقدرته في قلب النائم ، كما يخلقها في عين اليقظان قلبه . وهذه الاعتقادات تارة يحضرها ملك ، وتارة يحضرها شيطان . (الثاني) : إنَّ للمرائي ملكاً موكلاً بها يعرضها على النائم فيمثل له صوراً ، وتارة تكون موافقة لما يقع في الوجود، وتارة تكون أمثلة لمعانٍ معقولة .^(٣١) قال ابن قيم الجوزية^(٣٢) : "وكلَّ الله بالرؤيا الصادقة ملكاً علمه وألهمه معرفة كل نفس بعينها ، واسمها ومقلبها في دينها ودنياها وطبعها ، ومعارفها ، لا يشتبه عليه منها

شيء ولا يغلط فيها". (الثالث) : إن الله عز وجل قد وكل باللوح المحفوظ ملكاً ينقل للنائم منه ما يتعلق به من أمر الدنيا والآخرة ، من خير أو شر ، ضارباً له الأمثال والأشكال على قدر عادته فيبشره تارة بخير قريب ، أو ينذره من معصية ارتكبتها أو همّ بها ليعارض تلك الأسباب بأسباب تدفعها^(٣٣). (الرابع) جعل الرؤيا نوعاً من أنواع الوحي الإلهي ، إلا

أنه دون الوحي المنزل على الأنبياء في المرتبة والمحتوى

واستند أصحاب هذا الرأي على تأويل قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ... ﴾^(٣٤). (الخامس) : إن انقباض الحس عند النوم يرفع عن الروح شواغلها في تدبير منزلها، فتنتهز الفرصة ليحصل لها توجه إلى الافاضات النورانية من عالم النور ، فتستعد لقبول بعض آثاره ، والاستضاءة بشيء من أنواره^(٣٥) . وإذا أدركت النفس من عالمها ماتدركه ألقته إلى الخيال ، فيصوره بالصورة المناسبة له ، ويدفعه إلى الحس المشترك ، فيراه النائم كأنه محسوس فينزل المدرك من الروح العقلي إلى الحسي ، ويكون الخيال واسطة بينهما .

قال ابن خلدون^(٣٦) : "ومن هذا التقرير يظهر لك الفرق بين الرؤيا الصالحة وأصغاث الأحلام الكاذبة، فإنها كلّها صور في الخيال حال النوم ، ولكن إن كانت تلك الصورة منزلة من الروح العقلي فهي رؤيا ، وإن كانت مأخوذة من الصورة التي في الحافظة التي كان الخيال أودعها إياها منذ اليقظة فهي أصغاث أحلام". (السادس) ذهب بعض الصوفية إلى أن الرؤيا تصدر من حضرة المثال المقيد ، والمسمى بالخيال ، وتتأثر هذه الحضرة بالعقول السماوية ، والنفوس الناطقة المدركة للمعاني الكلية والجزئية ، فيظهر المنام في صورة مناسبة لتلك المعاني وقد يتأثر بالقوة الوهمية المدركة للمعاني الجزئية فقط ، فيظهر فيه صورة تناسبها . وتمثل حضرة الخيال إرهاصات الوحي الإلهي في أهل العناية ، لأنّ الوحي لا يكون إلا بنزول الملك ، وأول نزوله في الحضرة الخيالية ثم الحسية .^(٣٧) .

ويبدو واضحاً أنّ القرآن الكريم قد أراح جزءاً من الستار الذي تختفي وراءه حقيقة الرؤيا . فقد ذكر اصطلاح التوفّي في مواطن عدة من القرآن الكريم . وهو أول مرحلة من مراحل الانتقال إلى عالم الرؤيا ، وقد وردت أحاديث وآثار تشد بعضها بعضاً ، تشير إلى

طبيعة هذا التوفّي ومنشأ مايراه النائم في نومه ، فالتوفّي المذكور في القرآن الكريم ولوج في عالم روحاني تنتقل الروح عند رقيها فيه ، بين مراتب متفاوتة ، وفي قوله تعالى ﴿ اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ ، وقوله صلى الله عليه وسلم عندما يأوي إلى فراشه (إن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها ...) ، وقوله عند نهوضه صلى الله عليه وسلم من النوم : (الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور) دلالة واضحة على أن الله تعالى يتوفّى روح النائم في منامه.

المبحث الثاني

الرؤيا في القرآن الكريم

لقد عرض القرآن الكريم للرؤيا في أكثر من موضع ، وفي أكثر من سورة ، فأزال كثيراً من الغموض الذي يكتنف عالم الرؤيا . فبين أن النفوس تتوفى في منامها وتخرج إلى عالم الرؤيا في عوالمه التي لا يحدها زمان ولا مكان ، في قوله تعالى ﴿ اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى... ﴾ (٣٨)

كما أن الله جل ذكره أخبر أن لأوليائه المتقين البشرى في الحياة الدنيا ، وفي الآخرة ، فمن بشارة الدنيا : الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرى له ، ومنها تبشير الملائكة إيّاه عند قبض روحه في رحمة الله ، ومنها تبشير الله إيّاه وما وعده في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من الثواب الجزيل ، كما قال تعالى ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ... ﴾ (٣٩)

وأما في الآخرة : فبشرى جواز الصراط ، ودخول الجنة ، وإعلاء المراتب ، والتشريف بلقيا الأنبياء عليهم السلام ، ورؤية الباري عز وجل . وإذا حملنا قوله تعالى ﴿ لَهُمُ الْبُشْرَى ﴾ (٤٠) على الرؤيا الصادقة ، فظاهر هذا النص يقتضي أن لا تحصل هذه الحالة إلاّ لهم ، لأنهم أولياء الله تعالى وأحباؤه وهم مستغرقون بأرواحهم وقلوبهم بذكره تعالى .

قال الإمام الرازي رحمه الله تعالى (٤١): "ومن كان كذلك ، فهو عند النوم لا يبقى في روحه إلا معرفة الله ، فلهذا السبب قال تعالى ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ على سبيل الحصر والتخصيص".

وعن رجل من أهل مصر قال : سألت أبا الدرداء عن قول الله تعالى ﴿وَلَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فقال : ماسألني عنها أحد غيرك إلا رجل واحد منذ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ((ماسألني عنها أحد غيرك منذ أنزلت ، هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرى له)) (٤٢)

ويستتبط من قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْتُمَ اللَّهُ إِلَاحًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأَنَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٤٣)، مراتب الرؤيا . فالوحي هو الالتقاء في القلب سواء كان في اليقظة أو في المنام ، وهو أعم من الإلهام . وقد جاء إطلاق الوحي على الإلقاء بالقول ، وقد يأتي بمعنى الكلام من غير أن يُبصر السامع من يكلمه ، وهذه مرتبة الأنبياء عليهم السلام في رؤاهم الصريحة التي قد يكون بعضها إلقاءً مباشراً إلى أرواحهم الشريفة (٤٤) .

كما أن القرآن الكريم عرض لطائفة من الرسل الكرام صلوات الله وسلامه عليهم الذين جعلت الرؤيا في شأنهم وحققهم موضع ارتكازٍ ومحور حركة تتعلق بذواتهم أو رسالاتهم، وضمن تلك الرؤى ما يتطلب التنفيذ والتطبيق بحذافيرها وتمام صورتها ، على الرغم مما فيها من مشقة وألم وعذاب ، وقد يشند أحياناً إلى درجة إزهاق الروح ، ولكنها ليست غرضاً أو هدفاً بحد ذاتها بقدر ما هي امتحان وابتلاء، واختبار للمدى الإيماني في الطوعية والعبودية من النبي أو الرسول لربه تعالى . فقد أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام بذبح ولده ، فاستجاب لربه ، وامتنل لأمره وسارع إلى طاعته وعرض على ولده الأمر ليكون ذلك أطيب لقلبه وأهون عليه من أن يأخذه قسراً ، ويذبحه قهراً قال تعالى ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (٤٥) فقد رأى إبراهيم عليه السلام ذلك ثلاث ليالٍ متتابعات ، ورؤيا الأنبياء عليهم السلام حق ، والوحي يأتيهم من الله تعالى ايقاظاً ورفوذاً ، فبادر الغلام بالطاعة ، وأسرع إلى الإجابة ، قال إبراهيم : نعم العون انت

يابني على أمر الله تعالى . ثم أسلم إبراهيم ابنه ، فصرعه على شقه ، وأمسك السكين ، وأمرها على عنقه ، ولكن لم تقطع ، وحينئذ ناداه ربه عز وجل : ﴿ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾^(٤٦) وفدى الله اسماعيل بذبح عظيم ، ورفع ذكره في الآخرين . ومن ضمن تلك الرؤى ماهو مؤشر رمزي لوقائع مستقبلية يفسر بعضها بعضاً ، من غير افتئات على الحقائق المادية الكونية . فقد ذكر الله تعالى رؤيا يوسف عليه السلام حيث يقول تعالى ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾^(٤٧) (٤٨) ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ * قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ .. ﴾^(٤٩)

ولكن رؤيا يوسف عليه السلام تختلف عن رؤيا أبيه إبراهيم عليه السلام ، من ناحية الرد والوقائع وجهة التأويل ، ولكنها تتفق معها في الحقيقة والقيمة والأثر . فلو كانت الرؤيا بالنسبة لإبراهيم عليه السلام معلما من معالم النبوة ، ابتلى بها وامتنح ، فإنها بالنسبة ليوسف عليه السلام محور نبوته كلها .

لقد بدأت معه منذ يفاة الطفولة وبراءتها ، وظلت تعيش أحداث حياته ووقائعها برموز وإشارات مكتفة ، وعلى الرغم من تعليم الله له تأويل الأحاديث وتفسير الأحلام ، وعبره بهذا العلم اللدني جسر المحنة في ظلمة السجن وعذابه إلى سلطان الحكم ورحابة القصر ، فقد ظل عليه السلام في نجوة فكرية ووجدانية عن تأويل معالم الرؤيا الأولى ، رؤيا الكواكب والشمس والقمر سجوداً بين يديه ، فكانت حركة هذه الرؤيا بداية ونهاية وحيّاً إلهيا في الاختيار والاصطفاء والنبوة ، وتكريماً واعزازاً ليوسف عليه السلام .

قال المفسرون رأى يوسف عليه السلام في منامه ، كأن أحد عشر كوكباً نزلت من السماء ، ومعها الشمس والقمر ، فسجدوا له . وكأن النجوم في التأويل إخوته ، وكانوا أحد عشر رجلاً ، والشمس أبوه والقمر أمه ، وقيل إن القمر خالته ، لأن أمه كانت قد ماتت . وأراد بالسجود تواضعهم له ، ودخولهم تحت أمره . ومرت بيوسف أدوار من المحنة والبلاء من إلقائه في الجب ، ثم حمله إلى مصر ، ومراروة امرأة العزيز إياه ، ثم تهمتها له

بالسوء ، ثم ماكان من دخوله السجن ... إلى أن خرج منه معززاً مكرماً مبرأً وأصبح عزيز مصر ومكّن الله تعالى له في الارض . وجاء إليه إخوته فدخلوا عليه، فعرفهم وهم له منكرون ، ثم عرفوه بعد ذلك ، وجاءوا اليه مع أبيهم وأمهم .^(٥٠) ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ * وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجْدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا... ﴾^(٥١)

وقد يقال : إنّ يوسف عليه السلام كان صغيراً وقت رؤياه ، والصغير لاحكم لفعله ، فكيف تكون له رؤيا لها حكم حتى يقول له أبوه : ﴿ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ ﴾ ؟ فالجواب: إنّ الرؤيا إدراك حقيقة ، فتكون من الصغير كما يكون منه الإدراك الحقيقي في اليقظة، وإذا أخبر عما رأى صدق، فكذلك إذا أخبر عما يرى في المنام ؛ وقد أخبر الله تعالى عن رؤياه، وأنها وجدت كما رأى ، روي أنّ يوسف عليه السلام كان آنذاك ابن اثنتي عشرة سنة^(٥٢) .

وفي هذه الآية دليل واضح على معرفة يعقوب عليه السلام بتأويل الرؤيا ؛ فإنّه علم من تأويلها أنّه سيظهر عليهم .^(٥٣)

ومن ضمن تلك الرؤى التي عرض لها القرآن الكريم ، ماهو أداة علمية أوحاها الله تعالى إلى النبي لتكون سبيلا من سبل التصديق بنبوته ورسالته ، لدى العامة والخاصة على حدّ سواء ، أو نافذة نورانية الإشعاع ، ربانية الضوء تخرج من خلالها الذات الكريمة المظلومة ، من أسر الظلم إلى رحابة العدل والحق .

فقد ذكر القرآن الكريم رؤي الفتيّين (صاحبى السجن) وتفسير يوسف عليه السلام لرؤيهما . قال تعالى ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ﴾^(٥٤) ﴿ وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبْنَأُ بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ * قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ... ﴾^(٥٥) وبعد أن قصا عليه رؤيهما، جعل عليه السلام من المحادثة منطلقاً إلى التبشير بوحدانية الله تعالى والدعوة إلى إخلاص الإيمان والعبادة، وإيقاظ الحس الوجداني في نفسي صاحبي السجن ، وغيرهما ، ثم عقب على هذا بالتفسير والتأويل وبيان ارتباط الرموز والمؤشرات بالوقائع المستقبلية المنتظرة ، فقال للذي رأى في

منامه أنه يعصر خمراً : إِنَّهُ هُوَ سَيُخْرَجُ مِنْ سِجْنِهِ ، ويعود إلى سابق عهده ساقياً للملك ، وقال للآخر الذي رأى أنه يحمل فوق رأسه خبزاً تأكل الطير منه : إِنَّهُ سَيُصَلَّبُ ، وستأكل الطير من رأسه .

قال تعالى على لسان يوسف : ﴿ يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَمَا أَحَدُكُمْ فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلَّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾^(٥٦) وروي أن يوسف عليه السلام قال لأول : مارأيت من الكرامة وحسنها هو الملك ، وحسن حالك عنده ، وأمّا القضبان الثلاثة ، فإنّها ثلاثة أيام تمضي في السجن ثم تخرج وتعود إلى ماكنت عليه ، وقال للثاني : مارأيت من السلال ثلاثة أيام ، ثم تخرج فتقتل ، فلما سمع الخباز صلبه قال : مارأيت شيئاً ، فقال يوسف : ﴿ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾^(٥٧)

قال القرطبي : قال علماؤنا : إن قيل من كذب في رؤياه ففسرها العابر له أيلزمه حكمها؟ قلنا لايلزمه ، وإنما كان ذلك في يوسف لأنه نبي ، وتعبير النبي حكم ، وقد قال : إِنَّهُ كَذَا وَكَذَا ، فأوجد الله تعالى ماخبر كما قال تحقيقاً لنبوته.^(٥٨)

وقال يوسف للساقى وقد علم نجاته : يا هذا ، إذا رجعت إلى قصر الملك ، فاذاكر له أن مظلوماً يحويه السجن ، ومتهماً بغير ذنب يعاني الأسر والأغلال .

وصح تأويل يوسف عليه السلام ، ونجا رجل وصلب آخر ، وعاد الساقى إلى مخالطة الناس ، فأنساه الشيطان أن يذكر يوسف لسيدة ، فلبث في السجن بضع سنين.^(٥٩)

ومن ضمن تلك الرؤى التي عرض لها القرآن الكريم ، ماهو إشعار بالمطابقة في الزمن المستقبلي ، لواقعة معينة ، تتعلق بمجريات رسالة الرسول ، أو نبوة النبي ، فقد ذكر القرآن الكريم رؤيا الملك (فرعون مصر) حيث رأى في منامه كأن سبع بقرات سمان ، قد روين وشبعن ، فبدا اكنمالهن ، يأكلهن سبع عجاف ضعاف ، فيهن من الجوع والمسغبة مايحولهن إلى وحوش صنوار ، فينهشن السمان اللواتي قد أقعدهن الشبع عن الحركة والنشاط، واستسلمن للأمر الواقع ، ورأى أيضاً سبع سنبلات خضر وأخرّ يابسات ...

هذه الرؤيا فيها من التجانس العددي لكلا الطرفين ، والكيفي مايدعو إلى التأمل والتدبر ، والتيقظ للرمزية الحاصلة . فعرض التساؤل على المأ ، على كل فرد في الحاشية

من الخاصة والعامة ، من المقربين وغير المقربين ، إذ قال : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ ﴾ وعلّق الفتوى على شرطية معرفتهم بتعبير الرؤيا ﴿ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ . فأجابوا جوابين متناقضين ، الأول فيه ادّعاء وغرور ، إذ ﴿ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ﴾ والثاني فيه عجز وقصور واعتراف بالجهل ﴿ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ ﴾ .

قال تعالى حكاية لرؤيا الملك : ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ {٤٣} قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ ﴾^(٦٠)

قال القرطبي^(٦١) "في الآية دليل على بطلان قول من يقول : إنّ الرؤيا على أول ماتعبر ، لأنّ القوم قالوا : (أضغاث أحلام) ولم تقع كذلك ؛ فإنّ يوسف فسرها على سني الجذب والخصب ، فكان كما عبر ، وفيها دليل على فساد أنّ الرؤيا على رجل طائر ، فإذا عبرت وقعت" .

وقال أيضاً^(٦٢) : هذه الآية أصل في صحة رؤيا الكافر ، وأنها تخرج على حسب مارأى ولاسيما إذا تعلقت بمؤمن ، فكيف إذا كانت آية لنبي . وبعد أنّ عجزوا عن تعبير رؤيا الملك قال أحد صاحبي السجن الذي بشره يوسف بالنجاة ، وتذكر بعد عدة سنين قال : أنا أستطيع أن أتكم بتأويله ، فدلهم على يوسف عليه السلام . كما قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ * يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ * قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا^(٦٣) فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادًا يَأْكُلْنَ^(٦٤) مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَحْصِنُونَ ﴾^(٦٥) ، أي مما تحبسون منه لتزرعه ، لأنّ استيفاء البذر تحصيل الأقوات . وتابع يوسف عليه السلام قوله ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾^(٦٦) فيه يغاث الناس: أي يمطرون . وفيه يعصرون : أي الأعناب والدهن ويحلبون الألبان لكثرتها بكثرة النبات .

ومن مرآي نبينا صلى الله عليه وسلم التي تطرق القرآن الكريم لذكرها ، رؤياه صلى الله عليه وسلم قبل فتح مكة : قال الله تعالى ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ﴾

لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٦٧﴾.

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رأى في المنام ، أنه دخل مكة ، وطاف بالبيت ، فأخبر أصحابه بذلك وهو بالمدينة . فلما ساروا عام الحديبية ، لم يشك جماعة منهم أن هذه الرؤيا تنفسر هذا العام .

فلما وقع من قضية الصلح ماوقع ، ورجعوا عامهم ذلك ، على أن يعودوا من قابل ، وقع في نفس بعض الصحابة رضي الله عنهم من ذلك شيء ، حتى سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ذلك ، فقال فيما قال : أفلم تكن تخبرنا أنا سنأتي البيت ، ونطوف به ؟ قال : بلى ، فأخبرتكم أنك تأتيه عامك هذا ؟ قال : لا . قال النبي صلى الله عليه وسلم : فإنك آتية ومطوف به . وبهذا أجاب الصديق رضي الله عنه أيضاً .

وتحقت الرؤيا في عمرة القضاء في ذي القعدة سنة سبع من الهجرة (٦٨) وقد ذكر القرآن العظيم رؤياه صلى الله عليه وسلم يوم بدر . قال تعالى : ﴿ إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَاكِبِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (٦٩) .

قال المفسرون : رأى النبي صلى الله عليه وسلم المشركين يوم بدر في منامه قليلين ، فقص ذلك على أصحابه ، فثبتهم الله بذلك . ثم أراهم الله تعالى ذلك في اليقظة ، فقال : ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَقُّتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَاللَّهُ تَرْجِعُ الْأُمُورَ ﴾ (٧٠) .

قال ابن مسعود رضي الله عنه : قلت لإنسان كان بجاني يوم بدر : أتراهم سبعين ؟ فقال : هم نحو المائة . قال : فأسرنا رجلاً فقلنا : كم أنتم ؟ فقال : كنا ألفاً . وقوله تعالى : ﴿ وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ ﴾ كان هذا في ابتداء القتال . حتى قال أبو جهل في ذلك اليوم : إنما هم أكلة جزور (٧١) خذوهم أخذاً واربطوهم بالحبال . فلما كان القتال عظم المسلمون في أعينهم ، فكثروا . كما قال تعالى ﴿ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ﴾ (٧٢)

فالقرآن الكريم في معرض العناية بالرؤيا إنما يعالج جزئية من كينونة النفس الإنسانية يعيشها كل إنسان في كل يوم ، عندما يخلد إلى النوم ويستسلم إلى الرقاد ،

وينتقل من حياة إلى حياة... ينتقل من حياة كانت حافلة بالوعي والحركة والعطاء ، إلى حياة يحمد فيها الجسم ثم تشب فيها النفس عن طريق الجسد إلى آفاق لايعرفها هو ، أولاً بياشرها ماضياً وواقعاً ومستقبلاً ..

ترى النفس أشخاصاً في أقاصي الأرض تعرفهم ، فتجالسهم وتحدث إليهم وتعطيهم وتأخذ منهم، كما ترى آخرين قد غيبهم الموت وطواهم الثرى ، ممن بيننا وبينهم صلة قرى وأصرة معرفة .

ترى النفس عالمها غير الحسي وغير المحدود ، وفي مختلف تقلباتها وتأثيراتها ، وفي مختلف أجوائها العاطفية ، من حب وصلة ، أو نزاع وخصام أو غير ذلك .

و (رؤيا الأنبياء حق) وحقيقتها إمّا أن تتعلق بالالتزام بالتنفيذ ، وإمّا أن ترمز إلى أمور تتحقق في المستقبل كوقائع مادية ملموسة ، وتكون من مقتضيات الرسالة^(٧٣).

المبحث الثالث

الرؤيا في السنة المطهرة

ورد في السنة المطهرة فيما يخص أمر الأحلام والرؤى مايشفي الغليل ويزيل كثيراً من الغموض الذي يحيط بعالم الرؤيا ، فمن خلال سير الأحاديث التي وردت عن الرسول صلى الله عليه وسلم في تصنيف أنواع المنامات ، يظهر أنه صلى الله عليه وسلم قد وضع حدوداً فاصلة بين مايراه النائم في منامه . فجزء الله تعالى ، وآخر للشيطان يتلاعب به ، أمّا الجزء الأخير فهو من حظ نفسه النائم نفسه.

فعن أبي قتادة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ((الرؤيا من الله والحلم من الشيطان))^(٧٤) وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((الرؤيا ثلاثة : فالرؤيا الصالحة بشرى من الله ، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا يحدث المرء نفسه))^(٧٥) وفي سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ندرك العلاقة بين الرؤيا الصالحة والنبوة . يقول صلى الله عليه وسلم ((لم يبق من النبوة إلا المبشرات ، قالوا : ومالمبشرات ؟ قال : الرؤيا الصالحة))^(٧٦) وقد ورد التعبير بـ(المبشرات) على التغليب، فإنّ من الرؤيا ماتكون إنذاراً ، وهي الصالحة يريها الله تعالى للمؤمن رفقاً به ليستعد لما

يقع قبل حدوثه^(٧٧) والالف واللام في (النبوة) للعهد ، والمراد نبوته صلى الله عليه وسلم ، والمعنى لم يبق بعد النبوة المحمدية إلا المبشرات .

وقال صلى الله عليه وسلم ((رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة))^(٧٨) وقد أورد العلماء رحمهم الله ، أوجهاً كثيرة لتفسير علاقة الرؤيا بالنبوة ، فقال الخطابي^(٧٩) "معناه أنّ الرؤيا تجيء على موافقة النبوة لا أنّها جزء باقٍ من النبوة". قال ابن حجر رحمه الله^(٨٠): وتعقب بقول الإمام مالك فيما حكاه ابن عبد البر أنّه سئل: أيعبر الرؤيا كل أحد؟ فقال: أبالنبوة يلعب؟! ثم قال: الرؤيا جزء من النبوة ، فلا يلعب بالنبوة.

وقال التوريشتي : معناه أنّ الرؤيا جزء من أجزاء علم النبوة ، والنبوة غير باقية ، وعلمها باقٍ.^(٨١)

وقال ابن بطال "كون الرؤيا جزءاً من أجزاء النبوة مما يستعظم ، ولو كانت جزءاً من الف جزء . فيمكن أن يقال إنّ لفظ النبوة مأخوذة من الأنبياء وهو الإعلام لغة، فعلى هذا، فالمعنى أنّ الرؤيا خبر صادق من الله لا يجوز عليه الكذب ، فشابهت الرؤيا النبوة في صدق الخبر"^(٨٢).

أمّا الإمام القسطلاني فذهب إلى أنّ الرؤيا إذا وقعت منه صلى الله عليه وسلم فهي جزء من أجزاء النبوة حقيقة ، وإن وقعت من غير النبي فهي جزء من أجزاء النبوة على سبيل المجاز.^(٨٣)

وذكر الإمام ابن ابي جمرة^(٨٤) : أنّ النسبة التي بينها وبين النبوة من وجهين (أحدهما): أنّ النبوة كلها جاءت بالأمور البينية الواضحة ، ومن الأمور ما يكون مجملاً ثم بيّنتها النبوة بعد حتى لم يبق في الشريعة شيء فيه إشكال . والمرائي منها ما هو نص لا يحتاج فيه إلى شيء ، ومنها أشياء مجملة ، فتلك الأشياء المجملة ما يفهم منها الذي له معرفة بطريق العبارة من الحق الذي منها إلا كما جاءت الأجزاء منها . وذلك الجزء الذي فهمه ، وهو الحق ، جزء من النبوة ، فمرة يكثر ذلك الجزء ، ومرة يقل . ولإزالة الغموض الذي يلف علاقة النبوة بالرؤيا الصالحة ، ودلالة التجزئة العددية التي نقلت في الأحاديث الواردة عن الرسول صلى الله عليه وسلم^(٨٥) ، حاول العلماء تفسير هذه العلاقة بعدة

تأويلات. فقد نحا بعضهم إلى إيجاد علاقة مباشرة بين التجزئة العددية للنبوة وارتباطها بالنبوة ، وذلك بالتفتيش عن دلالة التجزئة في الخصائص والمقومات العلمية للنبوة ، بينما نحا البعض الآخر إلى إيجاد تأويل مقبول لهذه التجزئة من خلال تفسير علاقة النبوة بالوحي .

وقد تمخضت هذه المحاولات عن ظهور تأويلات عدة لتفسير علاقة النبوة بالرؤيا الصالحة ، انضوت بمجموعها تحت اتجاهين أساسيين : (الاتجاه الأول) يحاول تفسير العلاقة بينهما من خلال علاقة النبوة والرؤيا بالوحي الإلهي ، ونشأ عن هذا الاتجاه مذهبان (أحدهما): يفسر الرؤيا بدلالة مراتب الوحي. أما (الثاني) فهو تفسير علاقة الرؤيا بالنبوة بعد إيجاد علاقة بين الوحي المنامي قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ووحي اليقظة بعد بعثته صلى الله عليه وسلم. فقد تكلم بعضهم في قوله صلى الله عليه وسلم في الرواية المشهورة ((جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة)) وأبدى لها مناسبة ، فقد ذكر بعض أهل العلم أنّ الله تعالى أوحى إلى نبيه صلى الله عليه وسلم في المنام ستة أشهر ، ثم أوحى إليه بعد ذلك في اليقظة بقية مدة حياته ، ونسبته من الوحي في المنام جزء من ستة وأربعين جزءاً ، لأنّه عاش بعد النبوة ثلاثاً وعشرين سنة على الصحيح .

و(الاتجاه الثاني) يحاول تفسير علاقة النبوة بالرؤيا بوساطة مقومات النبوة وبهذا تكون مرتبة الرؤيا مرتبطة بمقومات النبوة التي تحتويها ، فكلما ازداد محتوى الرؤيا من مقومات النبوة الأساسية قلّت النسبة التي تربطها بالنبوة ، والعكس صحيح^(٨٦) وإن قيل : إذا كانت الرؤيا الصادقة جزءاً من النبوة فكيف يكون الكافر والكاذب أهلاً لها؟ وقد وقعت من بعض الكافر وغيرهم ممن لا يرضى دينه منامات صحيحة صادقة ، كمنام رؤيا الملك، ومنام الفتبين في السجن ، ورؤيا بختنصر التي فسرها دانيال في ذهاب ملكه ، ورؤيا كسرى في ظهور النبي صلى الله عليه وسلم ، ومنام عاتكة عمّة الرسول في أمره وهي كافرة .

فالجواب إنّ الكافر والفاجر والفاسق والكاذب وإن صدقت رؤاهم في بعض الأوقات لا تكون من الوحي ولا من النبوة ؛ إذ ليس كل من صدق في حديث عن غيب يكون خبره

ذلك نبوة ؛ حيث إن الكاهن وغيره قد يخبر بكلمة الحق فيصدق ، لكن ذلك على الندور والقلّة ، فكذلك رؤى هؤلاء^(٨٧)

وعن أنس قال : قال صلى الله عليه وسلم ((إنّ الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي)) قال : فشق ذلك على الناس ، فقال : ((لكن المبشرات)) فقالوا : يا رسول الله، وما المبشرات؟ قال : ((رؤيا المسلم وهي جزء من أجزاء النبوة))^(٨٨) وعن عائشة رضي الله عنها قالت : أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح.^(٨٩) قال ابن أبي جمرة رحمه الله^(٩٠) : إنّما شبهتها (رؤيا الرسول قبيل نزول الوحي) بفلق الصبح دون غيره ، لأنّ شمس النبوة كانت الرؤيا مبادئ أنوارها ، فما زال ذلك النور يتّسع حتى أشرفت الشمس . فمن كان باطنه نورياً كان في التصديق بكراً كأيّ بكر الصديق رضي الله عنه ، ومن كان باطنه مظلماً كان في التكذيب خفاشاً كأبي جهل ، وبقيّة الناس بين هاتين المنزلتين كل منهم بقدر ما أُعطي من النور.

ويستحسن أن نذكر هنا العلاقة بين الرؤيا الصادقة والرؤيا الصالحة ؛ لأننا نجد كلاً من التعبيرين وارداً في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، والرأي الصائب أنّ بينهما عموماً وخصوصاً، فيطلق اصطلاح الرؤيا الصادقة على كل منام ترابطت مفرداته ، ولم تخالف كليات الشريعة أو العرف سواء افتقر إلى تعبير أو لم يفتقر إليه . أمّا الرؤيا الصالحة فهي أكثر خصوصاً من الرؤيا الصادقة لاحتوائها على إفاضات إلهية، وإشارات غيبية ، لمن اختصه الله تعالى من عباده فتحوي البشارة والإنذار ، وتكون في أحيان أخرى تانيساً للمؤمن في غيبته . وقد تكون مرموزة فتفتقر إلى تأويل، أو تكون صريحة فتتطابق مع تعبيرها في عالم اليقظة . وينسب هذا النوع من الرؤيا إلى النبوة، وهي بشرى للعبد من ربه .^(٩١)

وإذا رأى الفاسق أو الكافر الرؤيا الصادقة فإنّها قد تكون بشرى له بهدأيته إلى الإيمان مثلاً ، أو التوبة ، أو قد تكون إنذاراً من بقاءه على الفسق أو الكفر ، وقد تكون لغيره ممن ينسب إليه من أهل الفضل والصلاح لقوله صلى الله عليه وسلم ((الرؤيا

الصالحة يراها المسلم أو ترى له)) أو إنّه قد يرى مايدل على الرضا بما هو فيه ، ويكون من جملة الابتلاء والاستدراج .^(٩٢)

قال القرطبي^(٩٣) "الرؤيا الصادقة قد تكون منذرة من قبل الله تعالى لاتسرّ رأيها، وإنّ ما يريها الله تعالى المؤمن رفقا به ورحمة ، ليستعدّ لنزول البلاء قبل وقوعه، وقد رأى الشافعي رضي الله عنه وهو بمصر رؤيا لأحمد بن حنبل تدلّ على محنته ، فكتب إليه بذلك ليستعدّ لذلك".

وقال أيضاً : إنّما كانت الرؤيا جزءاً من النبوة ؛ لأنّ فيها مايعجز ويمتنع كالطيران وقلب الأعيان ، والاطلاع على شيء من علم الغيب .^(٩٤)

والمراد بالرؤيا الصالحة (التي هي جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة) غالب رؤى الصالحين ، والآ فالصالح قد يرى الأضغاث ، ولكنه نادر لقلة تمكن الشيطان منهم ، بخلاف عكسهم فإنّ الصدق نادر لغلبة تسلط الشيطان عليهم ، فالناس على هذا ثلاث درجات : الأنبياء ورؤاهم كلها صدق ، وقد يقع فيها مايجتاج إلى تعبير . ومن عداهم قد يقع في رؤاهم الصدق والاضغاث .^(٩٥)

قال الرازي : واعلم أنّ الحكماء يقولون : إنّ الرؤيا الرديئة يظهر تعبيرها عن قريب، والرؤيا الجيدة إنّما يظهر تعبيرها بعد حين . قالوا : والسبب في ذلك أنّ رحمة الله تقتضي أن لا يحصل الإعلام بوصول الشر إلاّ عند قرب وصوله حتى يكون الحزن والغم أقل ، وأمّا الإعلام بالخير فإنّه يحصل متقدماً على ظهوره بزمان طويل حتى تكون البهجة الحاصلة بسبب توقع حصول ذلك الخير أكثر وأتم .^(٩٦)

وقد قسم الرسول صلى الله عليه وسلم الرؤيا تقسيماً يشمل أنواع المنامات كافة مع تحديد كل منها بمعيار دقيق ، فقال صلى الله عليه وسلم ((الرؤيا ثلاثة : فالرؤيا الصالحة بشرى من الله ، ورؤيا تحزين من الشيطان ، ورؤيا يحدث المرء نفسه))^(٩٧) ، وقال في حديث آخر:- ((إنّ الرؤيا ثلاث : منها أهوايل من الشيطان ليحزن بها ابن آدم، ومنها مايمهم به الرجل في يقظته ، فيراه في منامه ، ومنها جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة))^(٩٨) أمّا ما ورد من تقسيمات للرؤيا على مكروهة ومحبوبة أو حسنة وسيئة ، فإنّ هذا التقسيم لا يخرج عن التصنيف الثلاثي للمنامات . فما كان من الله في ترابط مفرداته

واحتوائه على إفاضات غيبية يمكن تقسيمه على أقسام اعتماداً على اعتبار محتوى الرؤيا بالنسبة للرأي ، فالمحوبة ماكان فيها بشارة وتأنيس ، والمكروهة مااحتوت على مايكرهه الرأي من إعلان بحدوث مايكرهه. أمّا حديث النفس ، أو مايمهم الرجل به في يقظته ، أو مايعتاده الرأي في اليقظة ، فهي مراتب متعددة للقسم الثالث من المنامات التي ذكرها صلى الله عليه وسلم ، وليس كل منها قسماً مستقلاً بذاته . والأضغاث وصف للحلم الذي ينشأ بحضرة الشيطان ، لأنّ الضغث هو حزمة الحطب المختلطة ، فشبه الحلم الشيطاني بالضغث لاختلاطه والتباسه على الرأي.^(٩٩)

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يولي الرؤيا عناية خاصة ؛ حتى أنّه كان إذا انصرف من صلاة الغداة يسأل أصحابه : هل رأى أحد منكم رؤيا ، فعن أبي هريرة : ((أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا انصرف من صلاة الغداة يقول : هل رأى أحد منكم الليلة رؤيا ، ويقول إنّه ليس يبقى بعد من النبوة إلاّ الرؤيا الصالحة))^(١٠٠) وقد بين المصطفى أنّ صدق الرؤيا يأتي على قدر صدق صاحبها في الحديث ، يقول عليه السلام : ((إذا اقترب الزمان لم تكذب رؤيا المسلم أنّ تكذب وأصدقهم رؤيا أصدقهم حديثاً...))^(١٠١)

وكان صلى الله عليه وسلم ينهى عن الإخبار بالأحلام الشيطانية ، فعن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّه قال لأعرابي جاءه فقال : إنّي حلمت أنّ رأسي قطع فأنا اتبعه فزجره النبي صلى الله عليه وسلم وقال لاتخبر بتلعب الشيطان بك في المنام))^(١٠٢) وكان عليه السلام يعبر الرؤيا ، والأمثلة على ذلك كثيرة ووفيرة منها مارواه أبو هريرة أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال : بينما أنا نائم رأيت في يديّ سوارين من ذهب فأهمني شأنهما فأوحى إليّ في المنام أنّ أنفخهما فنفختهما فطارا فاولتتهما كذابين يخرجان من بعدي ، فكان أحدهما العنسي صاحب صنعاء والآخر مسيلمة صاحب اليمامة .^(١٠٣) وكما قلنا إنّه كان يسأل أصحابه فيما إذا كان أحدهم رأى رؤيا فيعبرها لهم .

وقد حذّر الرسول الأكرم من الكذب في رواية الأحلام ، وتوعد على ذلك ، فعن ابن عباس أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((من صوّر صورة عذبه الله بها يوم القيامة حتى ينفخ فيها وليس بنافخ ، ومن تحلّم كُلف أنّ يعقد شعيرة ، ومن استمع إلى

حديث قوم يفرون به منه صب في أذنيه الإفك يوم القيامة))^(١٠٤) وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الصدد (حول الرؤى والأحلام) كثيرة ووفيرة ، وما سردناه من أحاديث ما هو إلا غيظ من فيض ، ومن أحب الاستزادة فليراجع الصحاح الست والمسانيد^(١٠٥).

المبحث الرابع

آراء فلاسفة المسلمين في الأحلام

صنف الفلاسفة والمتكلمون الرؤيا على أصناف فقالوا : إن بعضها ما يكون من وحي الله وبعضها من إلهام الملائكة ، وبعضها أضغاث أحلام وقد عزا رجال الشرع الرؤيا الصادقة إلى الله تعالى ، فهو يخلق في قلب النائم، وفي حواسه الأشياء ، كما يخلقها في اليقظة .

وذهب آخرون إلى أن الرؤيا الصادقة تقع للمرء وهو نائم ذاهل العقل ، والحس معاً ، إلا أن النائم وإن ذهب عقله الذي يتعقل به ويفهم ، وحسه الذي به يدرك صور المحسوسات ، فإن نفسه تكون يقظة منتبهة تقوى على الفهم وتقوم مقام الحواس من سمع وبصر ولمس ونحو ذلك في نقل آثار الجزئيات . ذلك أن روح النائم تسرح في الدنيا وتمتد منبسطة خارج الجسد، وإن لبث جزء منها على اتصال به فتدرك في النوم مكونات الغيب . وقيل إنَّها ترحل عن الجسد إلى عوالم الغيب . وقيل بل تصعد الأرواح إلى السماء السابعة حتى تقف بين يدي الله ويأذن لها في السجود ، فإذا سجدت بشر الطاهر منها بالغيب، فيراه النائم بروحه ويتفهمه بقلبه .^(١٠٦)

والمعتزلة بوجه عام يثقون بالمنطق والعقل الواعي ثقة كبيرة ، لذا فإن بعضهم يرون الأحلام أضغاث أحلام . ودليلهم على ذلك أن الإدراك الصحيح لا يتأتى للإنسان إلا في اليقظة، حيث يكون العقل في عنفوانه . وهم يقولون بأن الإدراك والنوم ضدان لا يجتمعان . وليس من الممكن - في نظرهم - أن يدرك العقل حقائق الكون أثناء نومه . وعلى قدر الانتباه يكون الإدراك .^(١٠٧)

وقد أشار إلى ذلك القرطبي في تفسيره وقال (١٠٨) : "... ولا ينكر الرؤيا إلا أهل الإلحاد وشرذمة من المعتزلة".

أما الصوفية فهم على العكس من رأي المعتزلة تماماً ، فهم يُعنون بالأحلام عناية كبيرة. ويرى بعضهم أنّ النوم يقظة واليقظة نوم. فالنفس البشرية مشغولة أثناء اليقظة بصور المحسوسات وهموم البدن . وهي عندئذٍ نائمة لاتفهم سوى ما يأتي به الحس من أوهام وأباطيل. أمّا في النوم فينجلي عن بصرها الغشاء وتطلق في سماء المعرفة طليقة لايشغلها شاغل (١٠٩) فهم يرون أنّ يقظة الوجود نوم ، ولكن الناس يحسبون وهماً أنّ المعرفة تقع إبان اليقظة ، مع أنّ المرء لايعرف خلالها شيئاً من عالم الغيب ، وما يبصره بين النوم واليقظة أولى بالمعرفة مما يدرك عن طريق الحواس ، واللوح المحفوظ مرآة نقشت عليها المقادير ، ولو ظهرت تجاهها مرآة أخرى تتكشف فيها صورة الأولى ، إلا إذا قام بينهما حجاب ، وليست المرآة الثانية إلا القلب، والحجاب هو الحواس والشهوات ويتجلى هذا في اليقظة ، أمّا في النوم ففيه يرتفع الحجاب ويزول، وبذلك تظهر في مرآة القلب صور اللوح المحفوظ ، وتتكشف للنفس آفاق المجهول ، ولكن الرؤيا لاتقع لكل نائم ، ولاتجيء في كل نوم ، وإتّما تعرض للمؤمنين، الذين صفت نفوسهم ، وتحررت من ضغط الأفكار الفاسدة ، وصدق الرؤيا يكون بمقدار ما يكون هذا الصفاء.

ويختلف الصوفية في تقدير الرؤيا ، فهم يصفونها دون الولاية حيناً ، وفي مرتبتها أحياناً، فهي عند بعضهم نوع من الكرامات التي تقع للأولياء . والنفس التي تقوى على إدراكها متى ترقّت في مجال الروحانيات ، أضحي صاحبها ولياً ، وهكذا يدرك في اليقظة متى قوي الأمر عنده ، ما يدركه النائم في نومه (١١٠)

ويعتقد الإمام الغزالي رحمه الله تعالى : أنّ ما يبصره الإنسان أثناء نومه أولى بالمعرفة مما يدرك عن طريق الحواس ، لأنّ الإنسان في حالة النوم يكون بعيداً عن هموم حياته الدنيوية، وتظهر له الحقائق (١١١)

والفلاسفة يرون أنّ الحواس تنقل للنفس صور المحسوسات ، فتنشغل النفس بالتفكير فيها أبان اليقظة ، فإذا وقع النوم تعطلت الحواس عن تأدية وظيفتها ، فتفرغ النفس من هذا التفكير وتتصرف إلى ما وراء الحس من جواهر روحانية شريفة عقلية وهي اللوح

المحفوظ عند رجال الشرع ، وفيها تنقش صور الموجودات كلها ، فإذا اتصلت بالذات انطبعت فيها بما تحمل هذه الجواهر من مكنونات الغيب ، ولا سيما ما كان يعني النفس منها ، وقد تصدق الصورة الجزئية التي تقع للنفس من غير حاجة إلى تعبير ، وربما بدلت المخيلة بها مثلاً بصورة التعبير ليكتشف عن حقيقة معناه . يقولون كذلك بأن من عناية الله بالإنسان أن يقع الإنذار بالرؤيا إذ المقصود به أن يستعد المرء لملاقاة المستقبل ويتهيأ له لدفع شره . هكذا أشار يوسف عليه السلام على ملك مصر بأن يستعد للسنين السبع المجذبة ، بعد أن رأى الملك في منامه رؤياه ، على أنه لا يبعد أن يقع الإنذار عن الماضي والحاضر متى كان مجهولاً لنا ، وهو أكثر ما يكون في الأمور المستقبلية التي يختص إدراكها بالقوى الفكرية الجزئية التي تفيد في معرفة الضار والنافع من مقبل الأمور .

والخلاصة أن أكثر مفكري الإسلام مثل ابن خلدون والغزالي وابن سينا قد انتهوا إلى أن للنبي القدرة على الاتصال بالعقل الفعال ، متى قويت المخيلة عندهم ، فإن افترقت المخيلة في قوتها تيسر لهم هذا الاتصال إبان اليقظة ، وكان التنبؤ ، ويقع هذا للأنبياء والواصلين من الأولياء^(١١٢) .

المبحث الخامس

الأحلام والرؤى في ميزان الفقهاء

يمثل الهدي النبوي منهلاً للتشريع الإسلامي ، وقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن رؤيته في المنام حق ، وأن الشيطان قد منع من التصور بصورته الشريفة ، فعن أبي قتادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من رآني فقد رأى الحق))^(١١٣) ، وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من رآني في المنام فقد رآني ، فإنه لا ينبغي للشيطان أن يتشبه بي))^(١١٤) فهذا عموم لا يقتضي التخصيص إلا بدليل .

إلا أن منشأ الخلاف في هذا المقام يكمن في تحديد مكانة الرؤيا الصالحة في ميزان التشريع ، فكون رؤيا الفرد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام حقاً لابس فيه

، وهو المشرع الذي لا ينطق عن الهوى ، فهل تصلح لأن تكون دليلاً شرعياً يستند إليه ؟
وما المعيار الذي يمكن الاعتماد عليه لتفسير دلالة الرؤيا ؟
وقد ردّ العلماء رحمهم الله إمكانية الاعتماد على جعل ما يرد في الرؤيا دليلاً شرعياً
بعده أقوال :

(الأول): إنَّ حالة النوم ليست حالة ضبط وتحقيق لما يسمعه ويراه الرائي ، وقد
اتفق العلماء على أنَّ من شروط من تقبل روايته وشهادته أن يكون متيقظاً ، لا مغفلاً ،
ولا كثير الخطأ ، ولا مختل الضبط ، والنائم يفتقر إلى هذه المقومات في رؤيته ، لذا ترد
روايته لاختلال ضبطه. (١١٥)

(الثاني): إنَّ الله تعالى لم يكلف عباده بشيء مما يقع لهم في منامهم ، وروي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ((رفع القلم عن ثلاث)) وذكر فيهم ((والنائم حتى
يستيقظ)) (١١٦) فمن كان نائماً خرج من دائرة التكليف الشرعي ، فلا يعتد بشيء مما يصنعه
في نومه ، والرؤيا وإن كانت صالحة فلا يعتد بها دليلاً شرعياً .

(الثالث) : هو أنَّ العمل بالمنام مخالف لقول صاحب الشريعة عليه السلام حيث
قال: ((تركت فيكم الثقلين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنتي)) (١١٧) فجعل
الرسول النجاة من الضلالة بالتمسك بهذين الثقلين فقط لا ثالث لهما ، ومن اعتمد على
ما يراه في منامه فقد زاد عليهما ثالثاً .

قال ابن الحاج (١١٨) : فعلى هذا من رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه ،
وأمره بشيء أو نهاه عن شيء ، يتعين عليه عرض ذلك على الكتاب والسنة ، إذ أنه عليه
الصلاة والسلام إنما كلف أمته باتباعهما .

(الرابع) : إنَّ إخباره صلى الله عليه وسلم في اليقظة مقدم على الخبر في النوم،
لتطرق الاحتمال للرأي بالغلط في ضبط الأمثال ، والعمل بالراجح متعين ، كما إذا ورد
خبران متعارضان عنه صلى الله عليه وسلم. (١١٩)

ويبدو مما تقدم أنَّ المعيار الذي يمكن الاعتماد عليه لتحديد دلالة الرؤيا بميزان
الحكم الشرعي يعرّف حالتين أساسيتين (أحدهما) : إذا رآه النائم (أي رأى النبي صلى الله
عليه وسلم) يأمره بفعل ما هو مندوب إليه ، أو ينهاه عن أمر محرم ، أو يرشده إلى فعل

مصلحة . فيعلم من هذا أنّ الرؤيا حق ، وأنّ الكلام حق ، وأنها قد جاءت تأنيساً وبشارة ونذارة خاصة للرائي ، ولا خلاف كما قال الإمام النووي رحمه الله تعالى (١٢٠) في استحباب العمل وفق ماورد في المنام ، لأنّ ذلك ليس حكماً بمجرد المنام ، بل بقرينة ماتقرر من أصل ذلك الشيء في الشرع . (الثانية) : إذا رأى النائم رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه يأمره أو ينهاه عن أمر يخالف ماروي عنه ، أو مايقضيه القياس ، فإنّ هذه الرؤيا لاتوجب حكماً ، لأنّ الحكم يستند إلى مااستقر وثبت بالكتاب والسنة ، لأنّه صلى الله عليه وسلم لاينسخ بعد موته شريعته المستقرة في حياته ، لذا فالعمل ممنوع لمن رأى شيئاً من ذلك . (١٢١)

وقد نقل عن الإمام العز بن عبد السلام رحمه الله أنّ رجلاً استفتاه في رؤيته لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمنام يقول له ((إنّ في المحل الفلاني ركازاً ، اذهب فخذهُ ، ولاخمس عليك)) فذهب ووجده ، فافتاه الإمام ابن عبد السلام باخراج الخمس ؛ لأنّهُ قد ثبت بالتواتر ، بينما قصارى رؤيته الآحاد . (١٢٢)

إلاّ أنّه يجب أن لا يغيب عن أذهاننا أنّ عدم إيجاب مثل هذه الرؤيا حكماً ، لا يعني الشك في حقيقة المثال وتصديق الرؤيا لأنّها رؤيا حق ، وأمّا ما وقع فيها مخالفاً لأصول الشريعة ، فقد ينشأ عما يقلب الشيطان في ذهن الرائي ، ونزعات النفس الأمارة، لأنهما يوسوسان له في حال يقظته فكيف في حال نومه . (١٢٣)

وقد أورد الإمام ابن العربي (١٢٤) سبباً آخر لهذه المخالفة ، عزاه إلى عدم الوثوق بالنائم في تحصيله ما رأى ؛ لأنّ المستيقظ قد يفوته التحصيل ، ويذهب عنه الوعي ، بغفلة ، أو ذهول ، أو نسيان فكيف بحال النوم .

قال ابن حجر رحمه الله (١٢٥) : وقد استشكل حكم الأذان برؤيا عبد الله بن زيد رضي الله عنه ، لأنّ رؤيا غير الأنبياء لاينبني عليها حكم شرعي . وأجيب باحتمال مقارنة الوحي لذلك ، أو لأنّه صلى الله عليه وسلم أمر بمقتضاها لينظر أيقر على ذلك أم لا ؟ ولاسيما الرائي لما رأى نظمها يبعد دخول الوسواس فيه .

وأيضاً قد يستشكل على بعض الناس مارواه شهر بن حوشب أنّ الصعب بن جثامة وعوف بن مالك كانا متأخيين ، فقال الصعب لعوف : أي أخي أينما مات قبل

صاحبه فليترأى له ، قال أو يكون ذلك ؟ قال : نعم فمات الصعب فرآه عوف فيما يرى النائم كأنه قد أتاه قال: قلت أي أخي ، قلت: مافعل بكم ؟ قال : غفر لنا بعد المصاعب ، قال : ورأيت لمعة سوداء في عنقه ، قلت : أي أخي ماهذا؟ قال عشرة دنانير استلقتها من فلان اليهودي فهن في قرني فأعطوه إياها، واعلم أي أخي أنه لم يحدث في أهلي حدث بعد موتي إلا قد لحق بي خبره حتى هزّة لنا ماتت منذ أيام ، واعلم أنّ ابنتي تموت إلى ستة أيام ، فاستوصوا بها معروفاً . فلما أصبحت قلت : إنّ في هذا لمعلماً ، فأتيت أهله ، فقالوا :مرحباً بعوف ، أهكذا تصنعون بتركة إخوانكم ، لم تقرينا منذ مات الصعب ؟ قال : فأعتلت بما يعتل به الناس ، فنظرت إلى القرن فأنزلته : فانتشلت مافيه فوجدت الصرة التي فيها الدنانير ، فبعثت بها إلى اليهودي . فقلت: هل كان لك على الصعب شيء ؟ قال رحم الله صعباً ، كان من خيار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هي له . قلت : لتخبرني ، قال : نعم ، أسلفته عشرة دنانير ، فنبذتها إليه ، قال : هي والله بأعيانها ، قال: قلت هذه واحدة. قال : فقلت هل حدث فيكم حدث بعد موت الصعب ؟ قالوا : نعم حدث فينا كذا حدث. قال : قلت اذكروا ، قالوا : نعم هزّة ماتت منذ أيام ، فقلت هاتان اثنتان . قلت : أين ابنة أخي؟ قالوا : تلعب ، فأتيت بها فمسستها ، فإذا هي محمولة ، فقلت : استوصوا بها معروفاً، فماتت في ستة أيام .(١٢٦)

وقد يستشكل أيضاً ماروي عن عطاء الخراساني قال : حدثتني ابنة ثابت بن قيس بن شماس قالت : لما نزلت ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾ (١٢٧) دخل أبوها بيته ، وأغلق عليه بابه ، ففقد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأرسل إليه يسأله ماخبره؟ قال: أنا رجل شديد الصوت ، أخاف أن يكون قد حبط عملي، قال ((لست منهم بل تعيش بخير وتموت بخير)) قال : ثم أنزل ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (١٢٨) فأغلق عليه بابه وطفق يبكي ، ففقد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأرسل إليه فأخبره فقال: يارسول الله إنّي أحب الجمال ، وأحب أن أسود قومي ، فقال : ((لست منهم بل تعيش حميداً، وتقتل شهيداً ، وتدخل الجنة)).

قالت : فلما كان يوم اليمامة خرج مع خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى مسيلمة الكذاب ، فلما التقوا وانكشفوا قال ثابت وسالم مولا أبي حذيفة رضي الله عنهما : ماهكذا

كنا نقاتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم حفر كل واحد له حفرة، فثبت فقائلا حتى قتلا على ثابت يومئذ درع له نفيسة، فمر به رجل من المسلمين فأخذها . فبينما رجل من المسلمين نائم إذ أتاه ثابت في منامه فقال له أوصيك بوصية فيأياك أن تقول هذا حلم فتضيعه ، إني لما قتلت أمس مر بي رجل من المسلمين ، فأخذ درعي ، ومنزله في أقصى الناس ، وعند خبائه فرس يستن من طوله، وقد كفا على الدرع برمة ، وفوق البرمة رجل ، فأت خالداً فمره أن يبعث إليّ درعي فيأخذه، وإذا أقدمت المدينة على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم - يعني أبا بكر الصديق رضي الله عنه- فقل له إن عليّ من الدين كذا وكذا ، وفلان من رقيقي عتيق ، وفلان. فأتى الرجل خالداً فأخبره فبعث إلى الدرع فأتى بها ، وحدث أبا بكر برؤياه فأجاز وصيته. قال: ولانعلم أحداً أجزيت وصيته بعد موته غير ثابت بن قيس رحمه الله . (١٢٩)

ولرفع هذا الإشكال نقول : إن في هذين الأثرين المنقولين عن شهرين حوشبة وابنة ثابت بن قيس دلالة واضحة على الفقه الرياني ، الذي اختص به الله تعالى صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم دون غيرهم من الناس . فقد نفذ الصحابي الجليل عوف بن مالك رضي الله عنه وصية صاحبه الصعب بن جثامة رضي الله عنه ، بالقرائن التي ذكرها له في منامه ، فالدنانير قد وجدها في القرن وهي عشرة كما ذكر ، واليهودي قد أقر على ذلك وطابق كلامه لما في الرؤيا (وهذا هو الأهم) ، كما أن هرة ابنة الصعب قد ماتت وكانت وفاة ابنته بعد ستة أيام قرينة أخرى .

وفي هذه الأمور إشارة واضحة إلى صدق الرؤيا وتطابق محتواها مع اليقظة فاعتمد الصحابي الجليل هذه القرائن أساساً لتنفيذ وصية الصعب بعد موته رضي الله عنهما .

وفي الرؤيا الثانية قرائن كثيرة جعلت خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والقائد خالد بن الوليد والصحابة الكرام ، يعملون بما ورد في هذه الرؤيا مع تنفيذ الوصية الواردة فيها وانتزاع الدرع ممن هي في يده . (١٣٠)

قال ابن القيم^(١٣١) وهذا محض الفقه .

فالرؤيا الصالحة وإن كانت من المبشرات إلا أنها ليست من أدلة الأحكام الشرعية ، فلا يجوز أن يستدل بها على ترك واجب أو فعل محرم ، أو شرع مالم يأذن به الله تعالى^(١٣٢).

المبحث السادس

رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم في المنام

رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم في المنام صحيحة ، ليست بأضغاث أحلام ولا من تشبيهات الشيطان . ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم ((من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ولا يتمثل الشيطان بي))^(١٣٣) وقوله ((من رآني في المنام فقد رآني ، فإن الشيطان لا يتمثل بي))^(١٣٤) وقوله : ((من رآني فقد رأى الحق))^(١٣٥) وقوله ((من رآني في المنام فقد رآني في اليقظة ولا يتمثل الشيطان بي))^(١٣٦) وقوله ((من رآني في المنام فكأنما رآني في اليقظة ، إن الشيطان لا يستطيع أن يتمثل بي))^(١٣٧)

يقول العلماء : مع أن رؤيا الناس للنبي صلى الله عليه وسلم في المنام صحيحة، ولكن قد يراه الرائي على خلاف صفته المعروفة : كمن رآه أبيض اللحية... ولكن إذا رآه بصورته يكون دليلاً على كمال إيمان الرائي ، وإن رآه بغيرها كأن يراه أسود اللون أو قصيراً ، أو حليقاً ، أو ملابسه قصيرة أو رثة ، أو نحو ذلك فإنه يكون في حال الرائي .

وقد يراه شخصان في زمن واحد ، أحدهما في المشرق ، والآخر في المغرب ، ويراه كل منهما في مكانه .

قالوا : خص الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم بأن رؤيا الناس إياه صحيحة، وكلها صدق ، ومنع الشيطان أن يتصور في خلقته ، كما استحال أن يتصور في صورته في اليقظة^(١٣٨) .

قال ابن العربي^(١٣٩) : إن المرء يعلم قطعاً أنه لم ير الذات النبوية الشريفة ولا العين المرسله إلى الخلق ، وإنما يرى مثلاً صادقاً في التعبير عنه والخبر به ، لوجهين (أحدهما) : إن ذاته الشريفة لاتدرك في اليقظة فضلاً في المنام ، (الثاني) : إن هـُـ يراه

في صورة تخالف صورته الكريمة . فدل على أن هناك محذوفاً تقديره : من رأى مثالي فقد رأني ، أي يكون ذلك دليلاً على أنه رأى الحق، إذ الشيطان وإن لعب بالإنسان في يقظته أو منامه فلا يلعب به بوساطة النبي ، فكان المثال الذي يرى في المنام ، هو مثال النبي ضرب عنه حقاً^(١٤٠) ، فقد يراه شيخاً أشمط ، ويراه شاباً أمد.

وقال الإمام القرطبي^(١٤١) : والصحيح في تأويل هذا الحديث أن مقصوده ، أن رؤيته في كل حالة ليست باطلة ولا أضغاثاً ، بل هي حق في نفسها . ولو روي على غير صورته ، فتصور تلك الصورة ليس من الشيطان ، بل هو من قبل الرحمن ، ودليلهم على ذلك البيان الزائد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله ((من رأني فقد رأى الحق)) أي لم يكن تخيلاً ولا تلبساً ولا شيطاناً ، ولكن الملك يضرب الأمثلة على أنواع ، بحسب ما يرى من التشبيه بين المثال والممثل به .

وذكر القرافي في الفروق أن رؤيته عليه الصلاة والسلام إنما تصح لأحد رجلين :- (أحدهما) : صحابي رآه فعلم صفته فانطبع في نفسه مثاله ، فإذا رآه جزم بأنه رأى مثاله المعصوم من الشيطان ، فينتفي عنه اللبس والشك في رؤيته عليه الصلاة والسلام . و(ثانيهما) : رجل تكرر عليه سماع صفاته المنقولة في الكتب حتى انطبعت في نفسه صفته عليه الصلاة والسلام ، ومثاله المعصوم كما حصل ذلك لمن رآه ، فإذا رآه جزم بأنه رأى مثاله عليه السلام ، كما يجزم به من رآه ، فينتفي عنه اللبس والشك في رؤيته عليه الصلاة والسلام .

وأما غير هذين فلا يحل له الجزم بل يجوز أن يكون رآه عليه السلام بمثاله ، ويحتمل أن يكون من تخييل الشيطان ، ولا يفيد قول المرئي لمن رآه : أنا رسول الله ، ولا قول من يحضر معه : هذا رسول الله ؛ لأن الشيطان يكذب لنفسه ويكذب لغيره ، فلا يحصل الجزم ، هذا وإن كان صريحاً في أنه لا بُدَّ من رؤية مثاله المخصوص لا ينافي ما تقرر في التعبير ، أن الرائي يراه عليه الصلاة والسلام شيخاً وشاباً وأسود ، وذهب العينين وذهب اليدين ، وعلى أنواع شتى من المثل التي ليست مثاله عليه الصلاة والسلام ، لأن هذه الصفات صفات الرائيين وأحوالهم تظهر فيه عليه الصلاة والسلام وهو المرآة لهم ،

(١٤٢) وأما قوله صلى الله عليه وسلم : من رآني في المنام ، فسيراني في اليقظة ؛ أو لكأني رآني في اليقظة ، ففي ذلك أقوال :

(أحدهما) : المراد به أهل عصره . ومعناه : أن مَنْ رآه في النوم ، ولم يكن هاجراً إليه ، يوفقه الله تعالى للهجرة ، ولرؤيته صلى الله عليه وسلم عياناً .

(الثاني) : معناه أنه يرى تصديق هذه الرؤيا في اليقظة في الدار الآخرة ، لأنه صلى الله عليه وسلم يرى في الآخرة جميع أمته ، من رآه في الدنيا ، ومن لم يره .
(الثالث) : يراه في الآخرة رؤية خاصة في القرب منه ، ينال شفاعته ، ويشرب من حوضه ، ونحو ذلك . فرؤياه صلى الله عليه وسلم في المنام ، مبشرة برؤيته في الآخرة ، فهي مبشرة بالموت على الإسلام .

هذا وقد ذكر علماء السلف : أنه من الممكن أن يرى النبي صلى الله عليه وسلم يقظة في الدنيا بعد وفاته . فيكون ذلك من بركة رؤياه صلى الله عليه وسلم في المنام أولاً . ولا يتسنى هذا الشرف العظيم إلا لمن زكت نفسه ، وتطهر من رعوناتها وآفاتنا .

قال العلماء : قد بعث الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ، فطوبى لمن رآه في حياته فاتبعه ، وطوبى لمن يراه في منامه : فإنه إن رآه مديون قضى الله دينه ، وإن رآه مريض شفاه الله ، وإن رآه محارب نصره الله ، وإن رآه مسرور حج البيت ، وإن رئي في أرض جذبة أخصبت ، أو في موضع فشا فيه الظلم ، بدّل الظلم عدلاً هذا إذا رآه على هيئته . وإن رآه شاحب اللون مهزولاً ، أو ناقصاً بعض الجوارح ، فذلك يدل على وهن الدين في ذلك المكان ، وظهور البدعة . وإن رآه كأنه مريض فأفاق من مرضه ، فإن أهل ذلك المكان يصلحون بعد الفساد . وإن رآه يؤذن في مكان خراب ، عمر ذلك المكان . وإن رأى جنازته في بقعة ، حدثت في تلك البقعة مصيبة عظيمة .

ورؤية الرجل الواحد رسول صلى الله عليه وسلم في منامه ، لا تختص به ، بل تعم جماعة المسلمين . (١٤٣) ويقال : إن ممّا يعين على رؤيته صلى الله عليه وسلم ، كثرة الصلاة والسلام عليه ، وصدق محبته ، وتعلق القلب به ، وكثرة ذكره ، ومطالعة سيرته الشريفة (١٤٤) .

الخاتمة وأهم نتائج البحث

إنَّ أهم النتائج التي توصل إليها البحث هي:

١. إنَّ الناس على مر العصور قد اهتموا بالأحلام وحاولوا تفسيرها ، واقتباس ما فيها من المعاني المخبوءة ، ومعرفة حقيقة رموزها ودلالاتها .
٢. إنَّ القرآن الكريم قد أزال كثيراً من الغموض الذي يكتنف عالم الرؤيا ، فبيَّن أنَّ من الرؤى ما هو أداة علمية أوحاها الله تعالى إلى النبي لتكون سبيلاً للتصديق لنبوته ، ومنها ما هو إشعار للمطابقة في الزمن المستقبلي لواقعة معينة ، ومنها ما هو مؤشر رمزي لوقائع مستقبلية يفسر بعضها بعضاً ، وغير ذلك .
٣. إنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال أحاديثه قد وضع حدوداً فاصلة بين ما يراه النَّائم في منامه ، فبيَّن أنَّ جزءاً منها لله تعالى ، وآخر للشيطان يتلاعب به ، أمَّا الجزء الأخير فهو من حظ نفس النَّائم .
٤. إنَّ بعضاً من المعتزلة يرون أنَّ الأحلام كلها أضغاث أحلام ، لا حقيقة لها ، وذلك لأنَّهم يتقنون بالعقل والمنطق فحسب .
٥. إنَّ هناك طائفة من الصوفية يهتمون اهتماماً بالغاً بالأحلام تصل إلى درجة القداسة .
٦. الرؤيا الصالحة وإن كانت من المبشرات ، إلا أنَّها ليست من أدلة الأحكام الشرعية ، فلا يجوز أن يستدل بها على ترك واجب ، أو فعل محرم أو شرع لم يأذن به الله تعالى.
٧. رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في المنام صحيحة ، ليست بأضغاث أحلام ، ولا من تشبيهات الشيطان .

هوامش البحث

- (١) الفتح : ٢٧
- (٢) يوسف : ١٠٠
- (٣) الدلالة والرمز في تفسير الأحلام : ٥٩ ، وينظر : الكتاب المعتبر : ٣٠ . من كتب الحديث .
- (٤) المدخل إلى الرؤيا وتعبيرها : ١٥
- (٥) تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي . مادة رأى .
- (٦) تفسير الخازن ٣ : ٢١٣
- (٧) صحيح مسلم ١٥ : ١٦
- (٨) أخرجه البخاري ، الفتح : ١٢ : ٣٦٩
- (٩) فح الباري ١٢ : ٣٢٦
- (١٠) روح المعاني ١٢ : ١٨١
- (١١) يوسف : ٤٤
- (١٢) جامع البيان ١٢ : ٢٢٦
- (١٣) روح المعاني ١٢ : ٢٥١
- (١٤) الزمر : ٤٢
- (١٥) قرّة العيون النواظر في الوجوه والنظائر : ٨٤
- (١٦) النساء : ٩٧ ، النحل : ٢٨ ، تنزيل السجدة : ١١
- (١٧) الروح : ١٢
- (١٨) تفسير القرآن العظيم ٣ : ٣٢
- (١٩) باب الفتوح : ١٣١
- (٢٠) باب الفتوح : ١٣٩
- (٢١) المصدر السابق : ١٣٠
- (٢٢) آل عمران : ٥٥ ، المائدة : ١١٧
- (٢٣) آل عمران : ٦٠ ، الزمر : ٤٠

- (٢٤) تفسير القرطبي : ٥٧٠٥ وينظر : تفسير المراغي ٢٤ : ١٢
- (٢٥) روح المعاني ٧ : ١٧٣
- (٢٦) تفسير المراغي ٢٤ : ١٢
- (٢٧) الروح : ١٤ .
- (٢٨) المدخل إلى الرؤيا وتعبيرها : ٣١
- (٢٩) المصدر السابق : ٣١
- (٣٠) الروح : ٢٢
- (٣١) الإبريز : ١٩٣
- (٣٢) الروح : ٣٢
- (٣٣) نوارد الأصول : ١١٦
- (٣٤) الشورى : ٥١
- (٣٥) تفسير المراغي ٢٤ : ١٣
- (٣٦) المقدمة : ٤٧٧
- (٣٧) روح المعاني ١٢ : ١٨٢
- (٣٨) الزمر : ٤٢ ، وقد سبق تفسير الآية ودراستها مفصلاً في المبحث الأول
- (٣٩) البقرة : ٢٥
- (٤٠) يونس : ١٤
- (٤١) التفسير الكبير ١٧ : ١٢٨
- (٤٢) أخرجه الترمذي . عارضة الأحوزي ٧ : ١٢٧
- (٤٣) الشورى : ٥١
- (٤٤) المدخل إلى الرؤيا وتعبيرها : ٣٥
- (٤٥) الصافات : ١٠٢
- (٤٦) الصافات : ١٠٤ - ١٠٥ .
- (٤٧) يوسف : ٣ .

- (٤٨) أي : عما عرفناك به من الأمور والحوادث والأحكام ، منها قصة يوسف وإخوته
: ينظر : التفسير الكبير : ٤١٨/٦ .
- (٤٩) يوسف : ٦-٣
- (٥٠) التفسير الكبير : ١٨ : ٨٦ ، الأساس في التفسير : ٢٦٣١:٥
- (٥١) يوسف : ٩٩ - ١٠٠
- (٥٢) تفسير القرطبي ١٢٧:٩
- (٥٣) المصدر السابق ١٢٧:٩
- (٥٤) أي : عنباً ، فهو مجاز مرسل من قبيل تسمية الشيء بأسم ما يكون عليه في
المستقبل. التفسير الكبير: ٤٥٤/٦.
- (٥٥) يوسف : ٣٦ - ٣٧
- (٥٦) يوسف : ٤١
- (٥٧) تفسير النسفي ٢ : ٧٧٠
- (٥٨) تفسير القرطبي ٩ : ١٩٣
- (٥٩) البضع : ما بين الثلاث إلى التسع
- (٦٠) يوسف : ٤٣ - ٤٤
- (٦١) تفسير القرطبي ٩ : ٢٠١
- (٦٢) المصدر السابق ٩ : ٢٠٤
- (٦٣) أي : متوالية متتابعة - ينظر : التفسير الكبير : ٤٦٥/٦ .
- (٦٤) أي : يأكل أهلهم - ينظر : المصدر السابق : ٤٦٥/٦ .
- (٦٥) يوسف : ٤٥ - ٤٨
- (٦٦) يوسف : ٤٩
- (٦٧) الفتح : ٢٧
- (٦٨) الرؤى والأحلام : ٦٠ ، ٦١ .
- (٦٩) الأنفال : ٤٣
- (٧٠) الأنفال : ٤٤

- (٧١) أي : هم قليل يشبعهم لحم ناقة
- (٧٢) آل عمران : ١٣ ، ينظر : الرؤى والأحلام : ٦٤ - ٦٥ .
- (٧٣) تفسير الأحلام حسب الحروف الأبجدية : ٢ - ٣ .
- (٧٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، ينظر : عمدة القارئ ٢٤ : ١٣٢
- (٧٥) أخرجه مسلم في صحيحه ، ينظر : شرح صحيح مسلم ١٥ : ٢٠
- (٧٦) خرج البخاري في صحيحه ، ينظر : عمدة القارئ ٢٤ : ١٣٤
- (٧٧) فتح الباري ١٢ : ٣٣٢
- (٧٨) أخرجه أبو داؤود ، ينظر : منحة المعبود ١ : ٣٤٩
- (٧٩) فتح الباري ١٢ : ٣١٩
- (٨٠) المصدر السابق ١٢ : ٣١٩
- (٨١) مرقاة المفاتيح ٤ : ٥٣٥
- (٨٢) فتح الباري ١٢ : ٣١٩
- (٨٣) المواهب اللدنية ٢ : ١٧٧
- (٨٤) بهجة النفوس ٤ : ٢٤٠
- (٨٥) فقد ورد الحديث بروايات مختلفة .
- (٨٦) المدخل إلى الرؤيا وتعبيرها : ٦٣-٦٧
- (٨٧) تفسير القرطبي ٩ : ١٢٤ ، ١٢٥
- (٨٨) أخرجه الحاكم في مستدركه على الصحيحين ٤ : ٣٩١
- (٨٩) أخرجه البخاري في صحيحه ، فتح الباري ١٨ .
- (٩٠) فتح الباري ١٢ : ٣١١
- (٩١) المدخل إلى الرؤيا وتعبيرها : ٩٥
- (٩٢) المصدر السابق : ٦٠
- (٩٣) تفسير القرطبي ٩ : ١٢٧
- (٩٤) المدخل إلى الرؤيا وتعبيرها : ٥٩
- (٩٥) الموسوعة الفقهية ٩ : ٢٢

- (٩٦) تفسير الرازي ١٧ : ٨٧ ، ٨٨
- (٩٧) قد سبق تخريج الحديث فليراجع .
- (٩٨) أخرجه ابن ماجة في سننه ، ٢: ١٢٨٥
- (٩٩) ينظر : المدخل إلى الرؤيا وتعبيرها : ٤٤ - ٤٥
- (١٠٠) رواه ابو داؤود ، عون المعبود ١٣: ٢٩٢
- (١٠١) رواه ابو داود ، المصدر السابق : ١٣: ٢٩٤
- (١٠٢) صحيح مسلم بشرح النووي ٨: ٢٧
- (١٠٣) ينظر : المصدر السابق ٨: ٢٤
- (١٠٤) رواه أبو داؤود ، عون المعبود ١٣: ٢٩٨
- (١٠٥) وإنما اقتصرنا على هذه الأحاديث ؛ لأن أكثر الأحاديث الأخرى مذكورة في مباحث أخرى من هذا البحث ، فلم نورد تلك الأحاديث تجنباً للتكرار والتطويل .
- (١٠٦) الدلالة والرمز في تفسير الأحلام : ٥٤
- (١٠٧) الأحلام بين العلم والعقيدة : ٣٨ ، ٣٩
- (١٠٨) المصدر السابق : ٣٩
- (١٠٩) المصدر السابق : ٣٩
- (١١٠) الدلالة والرمز في تفسير الأحلام : ٥٥
- (١١١) كيمياء السعادة : ١٤
- (١١٢) الدلالة والرمز في تفسير الأحلام : ٥٧ ، ٥٨
- (١١٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، فتح الباري ١٢: ٣٤٤
- (١١٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، شرح مسلم ١٥: ٢٦
- (١١٥) شرح مسلم ١: ٩٨
- (١١٦) أخرجه أبو داؤود ، سنن أبي داؤود ٤: ١٤٠ ، ١٤١
- (١١٧) الجامع الصغير ١: ١٣٠
- (١١٨) المدخل إلى الرؤيا وتعبيرها : ٤ : ٣٠٣
- (١١٩) المصدر السابق : ٩٢

- (١٢٠) شرح مسلم ٩٨:١
- (١٢١) الاعتصام ٢٦٢:١
- (١٢٢) تهذيب الفرق والقواعد السننية ٢٧٠:٤
- (١٢٣) المدخل ٣٠٣:٤
- (١٢٤) العواصم من القواصم ٣١٢:٢
- (١٢٥) فتح الباري ٦٥:٢
- (١٢٦) الروح : ١٤
- (١٢٧) الحجرات : ٢
- (١٢٨) لقمان : ١٨
- (١٢٩) الروح ١٥
- (١٣٠) المدخل إلى الرؤيا وتعبيرها : ٩٦
- (١٣١) الروح : ١٥
- (١٣٢) الجامع في طلب العلم الشريف : ٩٦٠
- (١٣٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، فتح الباري ١٢ : ٣٣٨
- (١٣٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، فتح الباري ١٢ : ٣٤٣
- (١٣٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، فتح الباري ١٢ : ٣٤٤
- (١٣٦) رواه الطبراني ، ينظر : مجمع الزوائد ٧ : ١٨١
- (١٣٧) أخرجه ابن ماجة في سننه ، سنن ابن ماجة ٢ : ١٢٨٥
- (١٣٨) الرؤى والأحلام : ١٢٨ ، ١٢٩
- (١٣٩) أحكام القرآن ٣ : ١٠٧٤
- (١٤٠) العواصم من القواصم ٢ : ٣١٢
- (١٤١) أحكام القرآن ٣ : ١٠٧٤
- (١٤٢) الفروق ٤ : ٢٤٥
- (١٤٣) المدخل إلى الرؤيا وتعبيرها : ٨١ ، ٨٢
- (١٤٤) الرؤى والأحلام : ١٣٢

قائمة المصادر

(أ)

١. القرآن الكريم .
٢. الإبريز : لعبد العزيز الدباغ ، الطبعة الأولى ، بدون تاخير ، مطبعة محمد علي ، القاهرة .
٣. احكام القرآن ، لأبي بكر محمد بن عبدالله العربي ، دون تاريخ ، دار المعرفة ، بيروت .
٤. الأحلام بين العلم والعقيدة ، للدكتور علي الوردى ، الطبعة الأولى ، ١٩٥٩ م ، مطبعة الرابطة ، بغداد .
٥. الإعتصام ، للإمام ابن اسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي ، الطبعة الأولى ، بدون تاريخ ، دار المعرفة ، بيروت .

(ب)

٦. باب الفتوح لمعرفة احوال الروح ، للشيخ عبد الهادي نجا الايباري - ط ١ ١٣٠٤ هـ
٧. بهجت النفوس ومعرفة ما لها وما عليها ، للإمام ابن أبي جمرة ، الطبعة الثانية ، بدون تاريخ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

(ت)

٨. تاج العروس ، للسيد محمد مرتضى الزبيدي ، بدون تاريخ ، دار ليبيا للنشر ، بنغازي .
٩. تفسير الأحلام حسب الحروف الأبجدية ، عبدالرحمن حسن حياوي ، مكتبة النهضة ، بغداد بدون تاريخ .
١٠. تفسير القرآن العظيم ، للإمام عماد الدين اسماعيل بن كثير الدمشقي ، بدون تاريخ ، دارالأندلس ، بيروت .
١١. التفسير الكبير ، للإمام الفخر الرازي ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

١٢. تفسير المراغي ، للشيخ أحمد مصطفى المراغي ، الطبعة الثانية ، ٣٧٣ هـ ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة .
١٣. تهذيب الفروق والقواعد السنية ، للشيخ محمد بن علي بن الشيخ حسين ، الطبعة الأولى ، ١٣٤٦ هـ ، دار احياء الكتب العربية ، بيروت .

(ج)

١٤. جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، الطبعة الثانية ، ١٣٧٣ هـ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة .
١٥. الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير ، للإمام جلال الدين السيوطي ، الطبعة الرابعة، بدون تاريخ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
١٦. الجامع في طلب العلم الشريف ، عبدالقادر عبدالعزيز ، الطبعة الثانية . بلا تاريخ. ومكان الطبع.
١٧. الجامع لأحكام القرآن ، للإمام أبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي ، بدون تاريخ ، كتاب الشعب ، دار الشعب ، القاهرة .

(د)

١٨. الدلالة والرمز في تفسير الأحلام ، قحطان محمد صالح الجميلي ، منشورات مكتبة الكتاب العربي، بغداد ، ١٩٨٧ ، مطبعة الاقتصاد .

(هـ)

١٩. الرؤى والأحلام ، أحمد عز الدين البيانوني ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٥ ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، بغداد .
٢٠. الروح ، لابن قيم الجوزية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ هـ ، مكتبة الشرق الجديد ، بغداد .
٢١. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، لأبي الثناء شهاب الدين محمود الألوسي ، الطبعة الثانية ، بدون تاريخ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

(س)

٢٢. سنن ابن ماجة ، لأبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
٢٣. سنن أبي داود ، للحافظ أبي داود سليمان السجستاني ، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، بلا تاريخ .

(ش)

٢٤. شرح صحيح مسلم ، للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي ، بيروت ، لبنان، بلا تاريخ.

(ع)

٢٥. عارضة الاحوذى في شرح جامع الترمذي ، لأبي بكر محمد بن عبدالله العزي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
٢٦. عمدة القارئ شرح صحيح البخاري ، للإمام بدر الدين العيني ، الطبعة الأولى ، المطبعة المنيرية ، القاهرة .
٢٧. العواصم من القواصم ، لأبي بكر بن العربي المالكي ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٤ هـ ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر .

(ف)

٢٨. فتح الباري شرح صحيح البخاري ، للحافظ شهاب الدين ابن حجر العسقلاني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، بلا تاريخ .

(ك)

٢٩. الكتاب المعتبر ، لأبي البركات هبة الله بن علي البغدادي ، الطبعة الأولى ، جمعية دائرة المعارف العثمانية ، بلا تاريخ .

(م)

٣٠. مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، للإمام عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٩ ، دار القلم ، بيروت ، لبنان .

٣١. المدخل الى الرؤيا وتعبيرها ، حسن مظفر الرزوي ، ١٩٩٠ م ، مطبعة الجمهور ، الموصل.
٣٢. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، للإمام علي بن سلطان محمد القارئ ، المكتبة الإسلامية، المدينة المنورة ، بلا تاريخ .
٣٣. المقدمة ، للإمام عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، مكتبة المثنى ، بغداد بلا تاريخ .
٣٤. منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبي داود ، للإمام أحمد بن عبدالرحمن البنا ، الطبعة الأولى ، ١٣٧٢ هـ ، المطبعة المنيرية ، القاهرة .
٣٥. المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ، للإمام أحمد بن أحمد القسطلاني ، الطبعة الأولى ، ١٣٢٦ هـ ، المطبعة المشرفية ، القاهرة .
٣٦. الموسوعة الفقهية ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٠ ، مطبعة الموسوعة الفقهية ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الكويت .

(ن)

٣٧. نواذر الأصول في معرفة أحاديث الرسول ، للإمام أبي عبدالله محمد الحكيم الترمذي، دار صادر، بيروت ، بلا تاريخ .